

وقت المحاضرة: (٨.٣٠-١٠.٣٠) صباحاً

الموضوع: (تاريخ فن المسرح)

اسم القاعة : ٧

المحاضرة الرابعة: (سمات البناء الدرامي)

البناء الدرامي يحتوي علي بداية بها تمهيد للأحداث الخاضعة لقانون " الضرورة و الاحتمال " ، يليها " وسط " به عرض لهذه الأحداث و تفصيل دقائقها ، ثم نهاية بها ذروة هذه الأحداث و حلها . و لقد أطلق المحدثون علي هذه السلسلة الثلاثية العضوية ما يعرف باسم " الخط الدرامي " . و ان تطور هذا الخط ينشأ عن عدة تغيرات في التوازن بين الإدارة الإنسانية و مصيرها المحتوم.

طبقاً لأرسطو ينبغي أن يحتوي الفعل الكامل علي بداية ووسط ونهاية . ولابد للبداية أن ترتبط عضويًا بما يليها " الوسط و النهاية " بمعنى أن تمهد لهما ، وتكون مقدمة لما يحدث فيهما ، ويكون ما بعدها نتيجة لها ، ولا يحدث بعدها ما يناقض ما جاء بها . و يري أرسطو أن البناء الدرامي الأمثل هو الذي لا يمكن أن تقع فيه البداية بعد الوسط أو قبل النهاية ، وأن يكون الوسط مرتبطاً بما قبله من أحداث وما بعده وهو النهاية . أما النهاية فهي الجزء الذي يرتبط عضويًا بكل من الوسط و البداية ، ويكون نتيجة حتمية لكل منهما .

مكونات الخط الدرامي

١- مقدمة

٢- فعل يؤدي إلي تصاعد

٣- الذروة

٤- فعل يؤدي إلي تخفيف التصاعد

٥- الحل

سمات البناء الدرامي

ينبغي أن يكون البناء الدرامي منطقيا ومترابيا ، بحيث لا يبدأ بداية متعسفة أو ينتهي نهاية سعيدة أو تسير فيه الأحداث مصادفة . كذلك يشترط أن يتحقق التجانس بين الموضوع والحجم بهذا البناء ، وتحقيق عنصر التعادل بين الشكل والمضمون .

يري أرسطو أن الجمال يعتمد على عنصرين وهما : الحجم و الترتيب . وكذلك أن الجمال لا يتوافر في الجم متناهي الصغر و لا في الحجم البالغ الضخامة ، حيث في الحالة الأولى يعجز البصر عن رؤية تفاصيل الحجم ، وبالحالة الثانية يفشل النظر في الإحاطة بالحجم .حيث أن الجمال يكمن في الحجم ذي القدر المحدود الذي يسمح للرؤية بأن تستوعبه بجلاء . وقياسا علي ذلك يري أن الموضوع الدرامي ينبغي أن يكون ذا حجم معين بحيث يستطيع العقل والذاكرة أن يستوعباه .

ولكن هذا كله لا يعد من الفن أن يكتب المؤلف حسب حجم محدد مسبقا ولكن الأمر كله أن يراعي بقدر الإمكان الحجم الكافي بالنسبة للبداية والوسط و النهاية حسب ما يتوافق و توضيح الأحداث . والحجم الأمثل هو الحجم الذي يسمح بتتابع الأحداث وتطورها وفقا لقانون " الاحتمال و الضرورة " بحيث يمكن عن طريقه إظهار التحول " في شخصية البطل " من الشقاء إلي الهناء أو من السعادة إلي الشقاء .

وملخصا لما سبق يمكن القول بأن مفهوم البناء الدرامي في التراجيديا هو تكوين الموضوع وترتيبه وتطويعه بحيث يغدو ملائما للمفهوم المسرحي ، ويكمن سر الدراما في هذا البناء وبه وحده يتفاعل المشاهد مع التمثيل ويعايش الأحداث.

الوحدات الثلاث

هناك وحدات ثلاث مكونة للعمل الدرامي وهي :

١- وحدة الموضوع " أو وحدة الفعل "

٢- وحدة الزمان

٣- وحدة المكان " المكان الثابت "

تعد هذه الوحدات هي قاعدة أو قانون الدراما ، والتي ذكرها أرسطو بكتابه " عن الشعر " ، و هوراس بكتابه " فن الشعر " . ان أرسطو لم يتحدث باستفاضة سوى عن " وحدة الموضوع " فقط ، بل ولم يرد علي لسانه ما يعرف باسم " وحدة الزمان أو المكان " وهي استنتاجات منه أن للزمان قاعدة وأن للمكان وحده .

وعلي الأرجح أن هذا التحديد القاطع من جانب نقاد عصر النهضة بثبات عنصرى الزمان والمكان لم يكن قانونا وقاعدة كما ظنوا ، بل كان بمثابة عرف أملتة ظروف التراجيديا الإغريقية القديمة ، وكان أرسطو دون ريب محقا في اقتصاره علي وحدة الموضوع أن هي أساس الدراما وأنه لا توجد دراما بدون موضوع آيا ما كان مفهومها ، ومهما اختلف هذا المفهوم بين القدماء والمحدثين ، أما ما أسماه نقاد عصر النهضة بالخروج علي " وحدتي " الزمان والمكان فلا يعدو سوي مبالغة في النمطية والتقليد تصور لهم أن في هذا الخروج إلغاء للدراما ، في حين أن إلغائها يكون فقط في الخروج علي وحدة الموضوع ، لأنها جوهر الدراما .

فالدراما فن متطور لا يسمح للقيود بأن تكبله أو تعوقه ، كما أنه في نفس الوقت جوهر لا يمكن إلغاؤه كلية بدعوى التطور . ذلك أن الدراما البسيطة ذات الوحدات الثابتة قد استبدلت بها الدراما المركبة التي لا تتقيد في بنائها بأي وحدة ، خاصة بعد ظهور شكسبير و خروجه عن هذه الوحدات التي اعتبرها بعض النقاد هي سبب خلود الدراما الإغريقية القديمة ، في حين رأي البعض الآخر أن سبب نجاح شكسبير هو خروجه عنها . هذا التضارب في الآراء يعود للصراع ما بين المذهب الكلاسيكي والمذهب الرومانسي .

وحدة الموضوع

يقول أرسطو قد يظن البعض أن حياة البطل الواحد لا تعطي سوى قصة واحدة " أو موضوعا واحدا " جاهلين أن حياة شخص واحد قد تتضمن قدرا كبيرا من الأفعال و التصرفات لا يمكن أن تصاغ كلها في موضوع ذي وحدة واحدة ، وناسيين أن شخصا واحدا قد يقوم بأفعال كثيرة و ليس من بينها فعل واحد يصلح أن يكون فعلا دراميا . و بناء علي ذلك يخطئ الكتاب الذين يختارون موضوعا لهم الحياة الكاملة لبطل قام بأفعال عديدة وشهيرة مثل أعمال هيراقل " الهرقليات " أو أعمال ثيسايوس " الثيسيات " ، معتقدين أنه ما دام البطل واحدا فإن قصته بالضرورة ستكون ذات وحدة واحدة

وينبغي لكي تتحقق الوحدة أن تكون وحدة المحاكاة ناتجة عن وحدة الموضوع ، حيث أن المحاكاة في الدراما تكون محاكاة للفعل فإن هذا الفعل ينبغي أن يكون واحدا كاملا في الوقت نفسه ، وأن تكون أجزاءه مترابطة البناء بحيث إن أي تغيير في ترتيبها أو قطع في تسلسلها أو تناقض في تتابعها يؤدي إلى انهيار البناء كله و انقلابه رأسا علي عقب ، و بمعنى أنه لا يجوز إضافة هذه الأجزاء و لا يصح أي حذف بها .

ولكن الكتاب كانوا بصدد تناول الاساطير وهذه الاساطير لها وحدة موضوع ، فبنوه أرسطو أن هليس علس الكاتب تناول الأسطورة بالكامل حيث أن للكاتب المتسع في ذكر ما يراه مناسباً لقانون " الاحتمال و الضرورة "

ويقول أرسطو

أن الشاعر لا يختلف عن المؤرخ لمجرد أن الأول ينظم موضوعه شعرا والثاني نثرا فالنظم وحده لا يصنع شاعرا ، ذلك أننا قد ننظم تاريخ هيرودوتوس شعرا دون أن يتغير من صورة التاريخ إلى صورة الأدب ، بل سيظل تاريخا رغم الإطار الشعري . بل يكمن الفرق بينهما في أن المؤرخ يتعرض لما حدث فعلا على حين يتعرض الشاعر لما هو ممكن أو محتمل الحدوث . و تبعا لذلك فالشعر أكثر فلسفة و أكثر تأثيرا من التاريخ

وحدة الزمان

اعتمدت العقلية الإغريقية -حتي قبل ظهور المسرح بوقت طويل- تفضل أن تقتصر الأعمال الأدبية المعتمدة على المحاكاة علي زمن معين ، وترى أنه ليس من الضروري التعرض للأحداث برمتها " فهوميروس مثلا - رغم أنه شاعر ملحمي- قد جعل الإلياذة تدور في فترة زمنية مقدارها خمسون يوما فقط ، مع أن الحروب الطروادية التي يدور حولها موضوع الملحمة قد استمرت عشر سنوات كاملة.

وحدة المكان

أما المكان فيتم تحديده بناء علي الموضوع نفسه ، ذلك أنه ما دام الموضوع محاكاة لفعل إنساني فمن الضروري أن يدور هذا الفعل في مكان معين . ولقد جري العرف بالتراجيديا الإغريقية على أن يكون هذا المكان واحدا أو ثابتا ، فقد يدور الحدث الدرامي بقصر أو ساعة أو أحدي الجزر ، حسب موضوع المسرحية . وما دام الفعل واحدا أو ذا وحدة ، و ما دامت الفترة الزمنية التي يدور فيها هذا الفعل محدودة -كما سبق القول- بحيث لا

تسمح بالتنقل ما بين مكان و آخر علي الأقل بالنسبة للبطل فمن المنطقي و الحال كذلك أن يكون المكان الذي يشهد الفعل ثابتا أيضا.

ولكن الجزم بثبات المكان دائما ، لأن هناك مسرحيتين لا تتمسكان بهذا العرف ، أولاهما " ربات الغضب " لإسخيلوس حيث تدور بعض الأحداث في معبد أبوللون بدلفي ، و البعض الآخر في معبد أثينا بمدينة أثينا . و المسرحية الثانية هي " أياس " لسفوكليس حيث تدور الأحداث أولا أمام خيمة أياس بسهل طروادة ثم تنتقل بعد ذلك إلي مكان آخر علي ساحل البحر.